٢٤ ــ همج

نعوذ[١] بالله أن نحب هذه الكلمة ، أو أن نؤثرها أو أن نتخذها عنوانا لفصل من الفصول عن رضى بها ، أو ميل إليها ، ولكنها كلمة أصبحت رسمية ! وكسبت حقا من الحقوق المدنية ! فلم يبق بد من أن نقر لها بهذا الحق الذى كسبته ! ونؤمن لها بهذه المزية التى ظفرت بها ! وأى حق أعظم من أن ينطق بهذه الكلمة نائب من النواب ، فى مجلس النواب على منبر النواب ، وتحت قبة البرلمان ! وأى مزية أميز ، وأى فضيلة أفضل من أن تسجل هذه الكلمة فى مضبطة مجلس النواب ، ومن أن تسجل على أن نائبا قذف بها فى وجه الوزراء وزملائه من النواب !

نعم امتازت هذه الكلمة ، وكسبت حقوقا ، وليس على الصحف بأس أن تستعمل الألفاظ المهجورة وتتخذها عنوانا لما تكتب من الفصول بعد أن يمنحها النواب الحقوق المدنية ، فيجب أن يقوم مجلس النواب الآن مقام المجمع اللغوى الذى أعلن عن تكوينه ثم لم يكن ، وعزم على تأليفه ثم لم يؤلف . وأكبر الظن أن وزير التقاليد قدر فى نفسه أن مجلس النواب يستطيع أن يستغنى عن هذا المجمع ، ليحيى المهجور من الكلام وقد كدت أن أملى الهجر ، ويضيف إلى اللغة ما ليس فيها . وما دام مجلس النواب قادرا على أن يشرع فى كل شىء ، ويراقب كل شىء ، ويقضى فى كل شىء ، فهو بإذن الله قادر على أن يشرع فى اللغة ويراقبها ويقضى فيها !!

ولكن مجلس النواب لم يحدد أمس ــ ولعله يريد أن يحدد اليوم ــ معنى كلمة الهمج هذه ، فليس لكلمة من الكلمات قيمة إلا أن يحدد معناها ، ويضبط ما تدل عليه . وكان النائب الذى نطق بهذه الكلمة وأدخلها فى معجم البرلمان مغضبا ثائرا ، منتقض المزاج ، فيجب إذن أن لا يكون قد أراد بها دعابة ولا فكاهة ولا مزاحا ، فضلا عن أن يكون قد أراد بها تحية للمجلس أو ثناء عليه !

---

(١) ٢٤ ــ ٥ ــ ١٩٣٣ .

وغضب رئيس المجلس حين سمع هذه الكلمة لنفسه ولنواب الأمة ، ووزراء الدولة ، فطلب إلى النائب المحترم أن يسترد كلمته هذه . ويظهر أن النائب المحترم من تلاميذ أستاذنا الشيخ محمد المهدى رحمه الله . فقد أساء إلى بعض الناس بكلمة ساقها إليه ، فلما طلب إليه سحبها كما يقولون ، أجاب « يا ولدى ، كلمة قيلت فكيف أسحبها ؟ » لذلك أبى النائب أن يسحب كلمته بعد أن قالها ، وقد غضب المجلس ، أو بعبارة أدق اختلف المجلس فى وقع هذه الكلمة : أكان شديدا فينبغى أن يألم النواب ؟ أم كان خفيفا فينبغى أن يغضى عنه النواب ؟ لذلك لم يثوروا بصاحب الهمج هذه ! وإنما ألحوا عليه فى رفق ولطف فى أن يستردها ويعتذر منها ! ولم يكن يعدل لين المجلس إلا شدة النائب ! فقد كان المجلس يلح فى الاعتذار ، وكان صاحب الهمج يكرر الهمج حتى إذا أثقل زملاؤه عليه لم يسحب الكلمة وإنما سحب نفسه وخرج من المجلس حديدا شديدا ، يمزق بيديه مشروع القانون الذى كان يعرضه وزير التقاليد ! وكان يدرسه المجلس ويظهر الميل إليه ، والتأييد له . وكان النائب ينكره ويرى أن الهمج لا يعرضونه ولا يقبلونه !

هنالك كانت حدة وشدة . وهنالك كانت ثورة وفورة ، ولكنها لم تكن عامة ولا شاملة . وإنما مقصورة على جماعة من النواب ، لهم فيما يظهر أمزجة حادة ، وحس سريع التأثر . وكانت كثرة المجلس آخذة بالعفو ، آمرة بالعرف ، ميالة إلى الصفح ، ولا سيما إذا قبل صاحب الهمج أن يتقدم بالاعتذار . وسنرى اليوم إلى أين تبلغ هذه القضية : أيسحب النائب كلمته فيبقى فى المجلس ؟ أم يأبى النائب سحب كلمته فيسحبه المجلس من بين أعضائه سحبا موقوتا أو غير موقوت ؟!

لكن هناك شيئا أجل خطرا من كلمة الهمج ومدلولها ، ومن مرسل هذه الكلمة ورأيه فى نفسه وفى زملائه ووزرائه ، ورأى زملائه ووزرائه فيه . وهو أن فصل العمل قد طال على النواب ، وتقدمت بهم الدورة حتى بلغ منهم الجهد وألح عليهم العناء فأصبحوا لا يملكون أنفسهم ولا أيديهم ولا ألسنتهم ! وأصبحوا يغضبون لكل شىء ، ويثورون لكل شىء ، ويتنكرون لكل شىء .

يحاول رجل أن يعتدى على رئيس الوزراء ، فيثور بعض النواب بالصحف . يحاول وكيل المجلس أن يعلن رأيا مهما يكن خاطئا ، ومهما يكن سخيفا ، فهو رأى أن يعلنه نائب له الحق فى إعلان رأيه بحكم الدستور ، فيثور به النواب ، ويجمعون أمرهم على أن يفصلوه ويخرجوه ، أو يذعن ويؤمن ، ويخلع رأيا ويلبس مكانه رأيا آخر ، كما يتبدل قميصا من قميص . ويحاول وزير التقاليد أن يدافع عن مشروع من مشروعات القوانين ، أو يحاول المجلس نفسه أن يدرس مشروعا من مشروعات القوانين فيثور أحد النواب ويقذف فى وجوه النواب والوزراء كلمة الهمج . وإذ بلغ الجهد من النواب هذا الحد ، وانتهى بهم الإعياء إلى هذه المنزلة ، فهم خليقون أن يستريحوا كما استراح رئيس الوزراء ، وهم عاجزون عن أن ينهضوا بالعمل فستتصل فيهم الثورة ، ويلح عليهم الغضب حتى يخرجهم من أطوارهم . ولست أذكر منفعة الأمة ومصالح الدولة ، فليس عليها بإذن الله بأس من النواب ،سواء سخطوا أم رضوا ، وسواء هدأوا أم ثاروا . وإنما اذكر النواب أنفسهم ، فقد يعرضون صحتهم وأمزجتهم وأعصابهم بهذه الثورة الدائمة ، وهذا الغضب المتصل لشر لا نحب أن نتعرض له . ولو أن رئيس الوزراء بالنيابة مستعد لقبول النصح لأشرنا عليه بأن يتلو المرسوم الذى يأذن للنواب فى أن يتفرقوا ويستريحوا ، فإن جهد المكدود لا خير فيه .

على أن هناك شيئا يعزى عن هذا الاضطراب المتصل بين النواب ، وهو أنه اضطراب لا يؤذى ، وثورة كنار القش أو كنار الورق ، سريعة الهبوب ، سريعة الخمود . فأما النائب الذى ثار على الصحف فقد اعتذر إلى الصحف . وأما النواب الذين ثاروا بالوكيل فقد عفوا عن الوكيل . وأما النائب الذى رمى فى وجوه الزملاء والوزراء بكلمة الهمج فسيعتذر إلى الوزراء والزملاء . وما دامت نار النواب هينة هادئة ، لا تحرق شيئا ، ولا تمس أحدا بأذى فقد لا يكون بهبوبها وخمودها بأس ، بل قد يكون فى هبوبها وخمودها شىء من التسلية لهذا الشعب الذى يجب أن ينتظر من نوابه أن يسلوه إذا عجزوا عن أن يسعفوه .

ويظهر أن الأمر لا يريد أن يقف عند مجلس النواب ، وأن مجلس الشيوخ يريد أن ينافس زميله الشاب فيما يأتى من حركات الشدة والحدة . ومن الثوران

والفوران ، فقد صاح بعض الشيوخ منذ أيام فى وجه الرئيس ، أو فى وجه الوكيل : إنكم تريدون أن تعاملونا كما يعامل زملاؤنا فى مجلس النواب . ولم يحفل الرئيس أو الوكيل بهذه الصيحة ، كما لم يحفل رئيس النواب بصيحات النواب !

وخطفت ميزانية الأشغال فيما يقال من مجلس الشيوخ كما خطفت من مجلس النواب ! ثم جاءت ميزانية السكك الحديدية ، فجاءت ثورة أخرى وتبعتها خطفة أخرى ! وظهرت الأهرام صباح اليوم ، وإذا شيخ من الشيوخ يشكو المجلس إلى الشعب ، ويتهمه بتهم أقل ما توصف به أنها خطيرة . فالمجلس — فى رأى هذا الشيخ الوقور — يحرم أعضاءه حرية الكلام ، ويحول بينهم وبين إعلان آرائهم ، ويمضى أبواب الميزانية وفصولها فى سرعة لا تلائم الأمانة — استغفر الله — بل يؤدى هذا المجلس عمله كله بطريقة لا تلائم الأمانة ولا تعادل المكافأة التى يقبضها الأعضاء !

وأؤكد لمجلس الشيوخ ومجلس النواب ومجلس الوزراء والنائب العام أنى لا أقول هذا الكلام من عند نفسى . ولا أرتجله ارتجالا ، وأعوذ بالله أن أدفع نفسى إلى هذا الموقف الحرج ، والمأزق الدقيق . إنما ألخص ما قاله الشيخ(١) المحترم فى الأهرام . والشيخ المحترم قد قال أكثر من هذا ، فأعلن إلى الناس وإلى الوزراء ، وإلى الشيوخ أيضا أن له آراء فى ميزانية السكك الحديدية ، منع من إعلانها على منبر البرلمان فسيعلنها على منبر الصحافة فى الأهرام . وإذن فنائب بتهم مجلس النواب بالهمجية ، وشيخ يتهم مجلس الشيوخ بماذا ؟ بالاستبداد ، لأنه يمنع الناس من إعلان آرائهم ، وبمخالفة الأمانة النيابية ، لأنه يقضى فى أمور الدولة على عجل ، ولأن أعضاءه يؤثرون أعمالهم ورياضتهم على النظر فى شئون الدولة ثم يقبض أموال الدولة فى غير حق ، لأن أعمال المجلس لا تعادل المكافأة التى يقبضها الأعضاء !!!

---

(١) يلاحظ القارىء الحرية التى يتمتع بها أعضاء البرلمان ، كما يلاحظ أن صحيفة الأهرام لم تكن تتردد فى نشر ما يسىء إلى الحكومة .

ولست أريد أن استنتج شيئا ، فكل إنسان يستطيع أن يستنتج . ولست أريد أن أطلب شيئا ، فليس يباح لنا أن نطلب شيئا فى مثل هذه الحال ، ولكنى أرجح أن الشيوخ سيغضبون على زميلهم يوم يجتمعون كما غضب النواب على زميلهم أمس ، وأن الشيوخ سيطالبون زميلهم ، لا بأن يسحب كلمته ، بل أن يسحب فصلا كاملا فيه كلمات وجمل وتهم تقال .

وإذن فستشهد القاهرة مساء اليوم ثورتين ، ثورة فى مجلس النواب ، وثورة فى مجلس الشيوخ ، ولكنهما ستكونان بإذن الله خفيفتين كل الخفة ، هادئتين كل الهدوء . لن تضطرم فيهما النار حتى يطفئها الاعتذار !! ثم يمضى الليل ويشرق النهار ، وتقرأ أن مشروعات القوانين وأبواب الميزانية تمر فى المجلسين فى سرعة دونها مر القطار السريع .